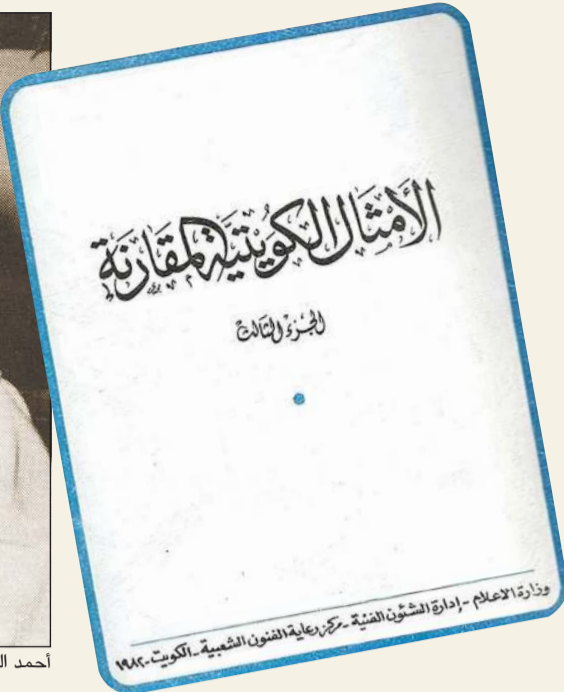




الإسراف في الأمثال الكويتية



ب.م. د. يعقوب يوسف الغنيم



أحمد البشر الرومي

الأمثال العامية في جميع أنحاء الدنيا تحمل صفة أو عدة صفات يتميز بها كل مجتمع تسود فيه.

وعندنا في الكويت أمثال نرددها في حديثنا ولقما يخلو حديث المرء إذا استطرد فيه من مثل أو أكثر من هذه الأمثال التي تتداولها الألسنة، وجرى جمعها في كتب أهمها ما قام به الأستاذ أحمد البشر الرومي، وهو كتاب كبير في أربعة مجلدات، لا يشوبه شيء سوى ما أدخله عليه شريكه المذكور اسمه على الغلاف وهو غير كويتي، ولم يكن من الصالح تكليفه بهذه المهمة، فقد أخطأ في مواضيع كثيرة تعرف أنها أخطاءه لأن مثلها لا يمكن - بأي حال - أن يمر على الأستاذ أحمد البشر الرومي دون أن ينتبه له.

وسوف يقول القارئ: لم سمح الأستاذ الرومي بمرور هذه الأخطاء؟ والجواب أنه كان مريضاً مرضاً يعرفه أهل الكويت كلهم، وكان من طيبة النفس يمكن يمنعه من صد ذلك الشخص عن تصديده في الأخطاء. وانتبهت هذه الفرصة لكي أتمنى على المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب أن يعيد طبع هذا الكتاب بعد تنقيحه لأنني كنت أشهد الجهد الكبير الذي بذله الأستاذ البشر في جمع أمثاله، بل لقد كان حريصاً على عدم تضيق فرصة سماع بها مثلاً كويتياً دون أن يقوم بكتابتها في كراسة صغيرة جعلها في جيبه لهذا الغرض بصورة دائمة. ولذا فإن من الظلم له أن يضع جهده هذا، وأن نجد هذا الكتاب الذي كنا ننظر صدوره بفارغ الصبر وقد ملاه الشريك المخالف بالأخطاء.

أذكر أنني كتبت مقالاً نشرته ضمن سلسلة «الأزمة والأمكنة» أشرت فيه إلى جهد الأستاذ أحمد البشر الرومي في تلخيصه، كما أشرت إلى أن الشخص الآخر عندما عاد إلى وطنه التقى أحد الكتاب هناك، فقال له: أنا حفظت للكويتيين أمثالهم الشعبية عن طريق هذا الكتاب، فصدقه الكاتب، وبناء على ذلك فإنه قام بنشر مقال في مجلة مرموقة هناك عارضاً تلك الأقوال دون أن يتأكد من مدى صدقها، وقد أوضحت في مقالتي التي أشرت إليه أنفاً كل شيء عن اهتمام أستاذنا البشر بالأمثال الكويتية وجميعه لها منذ زمن طويل، وبينت أن هذا الشخص لم يكن يدرك شيئاً منها لولا مجالسته للأستاذ أحمد البشر الرومي أياماً عديدة وهو يستمع إليه عندما يذكر الأمثال التي كانت في حوزته ويخبر بمعانيها، ثم قام الأستاذ بتسليم الأصول إليه، ثم ادعى أنه جمع بعضاً من الأمثال أضافها إلى المجموعة الكبرى التي تسلمها من الأستاذ البشر، ولم يكن هو جامع هذه المجموعة الصغيرة، إذ كان في المقر الذي يعمل به في الكويت عدد من الشبان أبناء البلاد جمعوا له ما ادعى جمعه.

أقول هذا - وهو تكرر لما سبق لي أن قلته - للتلاريخ، وحتى لا يشارك أحد الأستاذ أحمد البشر في عمله الذي تعرفه له، ونعلم اهتمامه به، علماً بأن المدعي لم يذكر كاتب

المقال المشار إليه المشاركة، بل زعم أنه الذي قام بالعمل كله. □□□

لم يرد في هذا الكتاب الكبير غير ثلاثة أمثال ذات اتصال بموضوع الإسراف، والنهي عنه. وهذه هي كما وردت:

1- اللي تاخده البني أؤديه اليسري

بمعنى أن الشخص يحصل على المال بينما، ثم يُنْفَقه - حلالاً - بيده اليسرى، دون انتظار أية فائدة بسبب وجود المال في حوزته.

2- ما جاء به غداً

والقصد من هذا المثل أن الإنسان يكبح في سبيل جمع ما يحتاج إليه من مال، ولكنه سرعان ما يذهب بما يحصل عليه بسبب إسرافه، وعدم وضع المثل هكذا: ما جاء به غداً «أي ذهب» به.

3- قولهم «هيل بلاكيل»

وتتعلق الكاف في اللهجة مكشكشة، فيقال: بلاجيل، وهذا المثل كان منتشرًا في الكويت، وباقي أجزاء الجزيرة العربية، وورد في أبيات من الشعر النبطي.

ومعناه أن من ينفق بلا حساب، ولا اهتمام بما يمكن أن ياتيه من صروف الدهر، كأنه يرسي المال بيده دون مبالاة، ودون أن يستفيد منه الفائدة المرجوة. وأصل المثل وارد في الحبوب التي يضعها المرء بيده في الأكياس دون أن يقوم بكيلاها، فيضيع عليه شيء كثير، (وفي قاموس: مختار الصحاح للرازي قوله: «هال الدقيق... صبّه من غير كيل» ومن هنا جاء إلى اللهجة).

وهناك مثل محلي لم يرد في الكتاب المتعلق بالأمثال، فيه إشارة إلى الإسراف، وهو قولهم عن الشخص المسرف.

«بصرف من جله مخبوقه» ويضرب هذا المثل للشخص الذي لا يهتم بحفظ ماله، فلا يلاحظ أنه يضعه في وعاء مخبوق (مخروم أسفله)، يتساقط منه المال، وهو مستمر في صرفه من الوعاء.

ومن ينطق بهذا المثل فهو يعيب على هذا المسرف عدم عنايته بماله في حيث وضعه في المكان المأمور، وضرورة عدم صرفه إلا فيما هو مفيد مع الاهتمام بتنميره. (الجله): تتطرق الجيم في اللهجة بياء فيقال: البيله، وهي زنبيل كبير



الشيخ أحمد الجابر الصباح - رحمه الله - يدير الدولاب الفضي إيداناً بتصدير أول شحنة من نفط الكويت بتاريخ 1946/6/30

معمول من خوص النخيل).
□□□
اهتم آباؤنا من أهل الكويت منذ زمن طويل بعدم الإسراف في كل شيء، ونهوا عنه أبناءهم ومن يعز عليهم، وكرروا دائماً المثل العربي السائر الآن في كل مكان: «القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود». على الرغم من أنه لم يكن من الأمثال الكويتية الدارجة بين أفراد المجتمع الكويتي.

ولقد أفاهم حرصهم هذا كثيراً، حتى لقد سارت حياتهم في اطمئنان تام، على الرغم من شح المادة، وقلة الموارد، وكانوا يصنعون نصب أعينهم قول الله عز وجل: في سورة الأنعام الآية رقم 141: (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان منشأها وغير متشابهة كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين). وفي سورة الأعراف الآية رقم 31: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين). وترينا الآية الكريمة القائبة أن الإسراف يأتي - أيضاً - في النقص فعدم الاستعداد لدول المساجد برزينة كاملة يعتبر إسرافاً في التخصيص بحق موضع من مواضع عبادة الله كالإسراف في الأكل والشرب.

ولقد سار أبناء الكويت على هذا المنوال النافع، الذي أثبت لهم صحة ما اتجهوا إليه من حب لوضع الأمور في نصابها، وأهم هذه الأمور المال الذي هو عصب الحياة كما يقال، ويعد

سنة 1946م، وهي السنة التي تدفق فيها النفط من أرضنا الغالية، وبدأت أمواله تدريجياً تصب في خزائن البلاد، وظهر أثره في الرفاه الذي رأيناه بتدرج إلى أن وصل مرتبة عالية سعدنا بها كلنا، وخسدنا عليها كذلك. ولكننا - بعد مضي وقت

بعض - تركنا ما كان عليه الآباء من حرص على التوفير في المال، إلى الإفراط في صرفه حتى وصلنا في تلك المرحلة صرنا فيها لا نبال بما أفعل.

وبمرور الأيام اندرنا أننا نبذل الأموال دون انتباه إلى الحياة - لا يمكن أن ندوم على حالة إذا هي وقعت في يد عسر، حتى لقد تبين لنا أن النفط مهما كانت موارداً منه فهي تفلن بحاجتنا في وجود صرفنا المبالغ فيه. كما أن الدنيا كلها معرضة للكوارث التي لا بد أن يقع علينا شيء من آثارها إذا هي وقعت في أي مكان في الدنيا. وهذه هي الكورونا التي أتت فشملت العالم بأسره، وعمتنا برزاياها التي عشنا ونحن نترقب في كل يوم منها عدم وفاء الموارد بالحاجات الملحة، وكثرة الصرف المبدول في مكافئة هذه الحاجات الفتكة.

ومع ذلك، فإننا - للأسف الشديد - لا نزال على ما وصلنا إليه من إسراف في كثير من الأمور التي تذهب من خلالها الأموال دون حساب للمستقبل. وكان الله سبحانه وتعالى قد أرسل هذه الحائكة لكي يُنبهنا إلى مغبة الإسراف، وإلى أن حفظ

لقد ظهرت لنا في السنوات الأخيرة مبالغ كبيرة جدا في مواصفات الإنشاءات الحكومية، وفي أحجامها، حتى لقد جاء بعضنا مهذبا من حيث الشكل الداخلي والخارجي، ولما كان سبب قيامها هو الحاجة إليها، فقد قبل في أمثالنا: «الزود نقص» ولذلك فقد أثر الإسراف في الأموال الذي يتم الإعلان علينا بين وقت وآخر، بل قد صار الناس يعجبون للمفارقة الواضحة بين العجز المالي والصرف المستمر على أبواب قابلة لتأجيل الصرف عليها، أو إعادة النظر في تكاليفها، وذلك بخفض ما يُقَدَّر لها من أموال تزيد على الحاجة.

وحتى يكون لبعض ما تعنيه: 1 - يزودنا تلفزيون الكويت - يوبيا - ضمن برنامج اسمه «بعد السادسة»، بمعلومات يضعها على جانب الشاشة الصغيرة، وفيها ذكر للمضروعات الجاري تنفيذها في بلادنا، ونحن سعداء إذ نرى الأعمال الإنشائية والتطويرية تسير على وتيرتها لم تتأثر بما هو جدير بان يوقفها كما أوقف غيرها مما هو أقل منها حجماً، ولكننا نتساءل:

هذه الميزانيات المرصودة لتلك الأعمال، الوارد ذكرها حيث أشرنا آنفاً: ليست ضخمة لا تصورها عقل؟ ليس حجم الإنشاء من الضخامة بحيث يكلف الدولة مبالغ كبيرة يمكن توفيرها لمصارف أخرى؟

3 - يظن البعض عندنا أن المال لا ينفد مهما بعثنا منه في كل وجه، وما هو سبب من الإسراف الزائد عن الحد، قد بدأ يتراجع، وبدأت الأعمال العامة تشكو قلة السيولة حتى لقد توقفت بعض الوزارات عن عدد من خدماتها التي كانت تؤديها للمواطنين بسبب ذلك.

ولعل من نماذج الإسراف الذي تحدث عنه هنا أمر التساقط على إقرار القوانين التي تُسمى (شعبية) فتصرف بسبب إقرارها مبالغ طائلة من الأموال، وهي في واقع الأمر ليست شعبية بمعنى الكلمة، لأنها كما رأينا فيما تم إقراره لا تهم الشعب كله، ولا حتى الكثرة منه، بل إن آثارها تصب

لقد ظهرت لنا في السنوات الأخيرة مبالغ كبيرة جدا في مواصفات الإنشاءات الحكومية، وفي أحجامها، حتى لقد جاء بعضنا مهذبا من حيث الشكل الداخلي والخارجي، ولما كان سبب قيامها هو الحاجة إليها، فقد قبل في أمثالنا: «الزود نقص» ولذلك فقد أثر الإسراف في الأموال الذي يتم الإعلان علينا بين وقت وآخر، بل قد صار الناس يعجبون للمفارقة الواضحة بين العجز المالي والصرف المستمر على أبواب قابلة لتأجيل الصرف عليها، أو إعادة النظر في تكاليفها، وذلك بخفض ما يُقَدَّر لها من أموال تزيد على الحاجة.

وحتى يكون لبعض ما تعنيه: 1 - يزودنا تلفزيون الكويت - يوبيا - ضمن برنامج اسمه «بعد السادسة»، بمعلومات يضعها على جانب الشاشة الصغيرة، وفيها ذكر للمضروعات الجاري تنفيذها في بلادنا، ونحن سعداء إذ نرى الأعمال الإنشائية والتطويرية تسير على وتيرتها لم تتأثر بما هو جدير بان يوقفها كما أوقف غيرها مما هو أقل منها حجماً، ولكننا نتساءل:

هذه الميزانيات المرصودة لتلك الأعمال، الوارد ذكرها حيث أشرنا آنفاً: ليست ضخمة لا تصورها عقل؟ ليس حجم الإنشاء من الضخامة بحيث يكلف الدولة مبالغ كبيرة يمكن توفيرها لمصارف أخرى؟

3 - يظن البعض عندنا أن المال لا ينفد مهما بعثنا منه في كل وجه، وما هو سبب من الإسراف الزائد عن الحد، قد بدأ يتراجع، وبدأت الأعمال العامة تشكو قلة السيولة حتى لقد توقفت بعض الوزارات عن عدد من خدماتها التي كانت تؤديها للمواطنين بسبب ذلك.

ولعل من نماذج الإسراف الذي تحدث عنه هنا أمر التساقط على إقرار القوانين التي تُسمى (شعبية) فتصرف بسبب إقرارها مبالغ طائلة من الأموال، وهي في واقع الأمر ليست شعبية بمعنى الكلمة، لأنها كما رأينا فيما تم إقراره لا تهم الشعب كله، ولا حتى الكثرة منه، بل إن آثارها تصب

